مروان عبد العال، والكاتب والصحافيّ في جريدة **السفير** صقر أبو فخر، ورئيس قسم العدل في جريدة **الأخبار** د. عمر نشّابة، وعضو «اللقاء الوطنيّ» والحزب الشيوعيّ رياض صوما، وممثّل نقابة الصحافة إلياس عون، وممثّل نقابة المحرّرين كمال فضل الله، والناشط والكاتب القوميّ دياب أبو جهجه، والكاتب الفلسطينيّ رشاد أبو شاور. وحضر المؤتمر مثقفون وفنّانون كثيرون، منهم: الشاعران محمد علي شمس الدين وشوقي بزيع، والمخرجان السينمائيّان ميّ المصري وجان شمعون، والناشط السياسيّ سايد فرنجية، وعربي عنداري عن اتحاد الشباب الديمقراطيّ، والدكتورة غادة اليافي...

وقال نصري الصايغ إنه كان يتمنّى أن يُنزِلَ الحكمُ القضائيُّ عقوبةَ السجن في حقّ إدريس، لأنّ ذلك كان سيعبّر أشدّ تعبير عن بؤس الحُكْم وعن رفعةِ موقفِ الآداب. وتساءل واكيم عن سبب خلوّ ديوان المحاسبة من أيّ قضيّةٍ تستوجب التحقيقَ والمحاكمة، بينما تتكاثر القضايا القضائيّةُ والشكاوى في محكمة المطبوعات، مُعْرِبًا عن استيائه من عدم وضع افتتاحيّة إدريس عام ٢٠٠٧ (موضوع الشكوى) في إطارها الثقافيّ ـ السياسيّ بوصفها صراعًا بين نهجين: نهجٍ مزيَّفٍ مبرِّرٍ للاحتلال، ونهجٍ مقاوم. أما أبو شاور فتحدّى فخري كريم أن يقاضيه في الأردن بسبب عددٍ من مقالاته التي تتضمّن معلوماتٍ وألفاظًا تفوق بشدّتها ونبرتها ما يُزعم أنه ورد في افتتاحيّة إدريس. وأكّد عبد العال «أننا، في الجبهة الشعبيّة، يعنينا سماح إدريس لما يمثّله، امتدادًا لما مثّلته الآداب ومؤسِّسُها سهيل إدريس، من الانتصار للحريّة والمقاومة والكلمة الملتزمة.» وتابع: «إنّ صدورَ الحكم في حقّ سماح لم يفاجئْنا، لاننا ندرك أنّ المطلوب هو تدجينُ الثقافة وتطبيعُ ثقافة الاستسلام. وبين الانتصار لسماح إدريس وثقافة المقاومة من جهة، والخضوع لمنطقة تدجين الثقافة ومحاكمتها من جهةٍ أخرى، فإننا نقف حتمًا إلى جانب سماح.»

وختم إدريس بكلمة ترحيبيّة داعيًا إلى تعديل قانون المطبوعات (نصّ كلمته في الصفحة التالية).

❖ ❖ ❖

جـورج عـازار — كلمة حملة التضامن مع مجلة الآداب

أيها الحضورُ الكريم، ها هي مجلةُ الآداب تصنع التاريخَ مجدّدًا، فتنحتُ من الورق فنّاً اسمُهُ «المقاومةُ الثقافيّة.» وها هو حبرُ المثقفِ الحرِّ والملتزم ينتصر لجراح العراق ومآسيه، ويضيءُ لنا عتمةَ واقعنا العربيِّ المرير؛ فإذ بالوجوهِ تنكشف، والأقنعةِ تسقطُ، والكلمةِ الحرّةِ تفضح الارتهانَ.

في افتتاحيّة بعنوان «نقد الوعي 'النقدي': كردستان ـ العراق نموذجًا،» وهي موضوعُ الدعوى القضائيّةِ المقامةِ ضدّ مجلة الآداب، قدّم الدكتور سماح إدريس وقائعَ واستنتاجاتٍ دامغةً عن نموذج لعلاقة المثقف السلطويِّ في الوطن العراقيّ الواقع تحت سلطة الاحتلال، معتمدًا على مراجعَ وشهاداتٍ من الداخل العراقيّ نفسِه.

لكنّ منطقَ الثقافة السلطوية لا يقبلُ النقدَ، خاصةً إذا كان رصينًا وجادّاً في تناول دور المثقف الأجير في عصر الاحتلالِ وديموقراطيّةِ هولاكو وورثةِ نوري السعيد.

منذ اليوم الأول لرفع هذه الدعوى القضائيّة ضدّ مجلةٍ رائدةٍ كمجلة الآداب، أحسّ كلُّ الشرفاء والمثقفين الأحرار في لبنان والعالم العربيّ بالإهانة من هذا الأسلوب الحاقد في استغلال النصّ القانونيّ واستخدام قانون المطبوعات أداةً لقمع حريّة التعبير وخنقِ الكلمة الحرّةِ المستقلّة. وكان الحكمُ الأولُ الصادرُ في القضيّة مفجعًا للوسط الأدبيّ، ومخيّبًا لآمالَ المثقفين الديمقراطيين. فما هي الحكمةُ من تجريمِ النقد المستند إلى عشرات المراجع؟ ولماذا تحريمُ التحليل السياسيّ الصادق؟ وهل من المنطق المقارنةُ بين نقد شخصيّةٍ عامّةٍ مثل المستشار الرئاسيّ لعراقٍ واقعٍ تحت الاحتلال، وبين مقالاتِ التشهيرِ وشائعاتِ الوسطِ الفنيّ وأقلامِ السبِّ والشتم؟

إنّنا، كأصدقاء وقرّاءٍ لمجلة الآداب بالدرجة الأولى، وكمثقفين وشبابٍ ديمقراطيين حريصين على حريّة التعبير في لبنان أيضًا، نعتبرُ أنفسَنا مستهدَفين جميعًا عبر هذا الحُكْم الجائر، ونعلنُ عن تضامننا الكامل مع مجلة الآداب، ممثلةً بشخص مديرها المسؤول الأديبة الملتزمة السيّدة عايدة مطرجي إدريس ورئيسِ تحريرها المثقف المقاوم الدكتور سماح إدريس. كما نعلن عن إطلاق أوسع حملةٍ شعبيّةٍ دفاعًا عن حريّة التعبير وتضامنًا مع مجلة الآداب.

تهدفُ الحملةُ **أولاً** إلى إعادةِ التذكيرِ بتفاصيلِ القضيّة وتعريفِ الجمهورِ بها. وتسعى، **ثانيًا**، إلى مناصرةِ الجهدِ القانونيّ المبذول لاستئنافِ الحكم عبرَ استنهاضِ الرأي العامّ اللبنانيّ وتعريفِه بخطورةِ استخدام النصّ القانونيّ أداةً لقمع حريّة الكلمة، وضرورةِ تطوير قانون المطبوعات بما يتوافقُ مع حريّةِ التعبير. وتسعى الحملةُ، **ثالثًا**، إلى توقيعِ

عريضةٍ تستنكر الحكمَ القانونيَّ الصادرَ عن محكمة المطبوعات. وفي هذا الصدد لا بدَّ من التذكير بالعريضة الموقّعة من طرف أكثر من ألف مثقف من لبنان والعالم، ومنهم أسماءٌ لامعةٌ كنعوم تشومسكي ونورمن فنكلستين وصنع الله إبراهيم وسليم الحص وشفيق الحوت وأنيس صايغ... وأخيرًا، تعلن حملتُنا عن تضامننا الماليّ مع مجلة الآداب في تحمّل أيّ نتيجةٍ سلبيّةٍ لحكم الاستئناف مستقبلاً في ظلّ قانونِ المطبوعاتِ الحاليّ، وعن إطلاق حملةِ تبرّعاتٍ شاملة؛ ذلك أنّ الادّعاءَ على الآداب وسماح وعايدة اعتداءٌ مباشرٌ علينا!

إننا عبر تضامنِنا مع الآداب نتضامنُ أيضًا مع ذواتِنا وحقِّنا في الحريّةِ والإبداع. وهذا هو جوهرُ إنسانيّتنا ومعنى وجودنا.

وفي نهاية كلمتي لا بدَّ من توجيهِ تحيّةٍ قلبيّةٍ منا جميعًا إلى مؤسّس الآداب الراحلِ الكبير الدكتور سهيل إدريس، وإلى روحِهِ الطاهرة، ورسالتِهِ الخالدة في استنهاضِ الإنسانِ العربيِّ الجديد وترسيخِ ثقافةِ الوعي الذاتيّ والمقاومة.

سنبقى معك يا سماح، وستبقى الآداب عصيّةً على دعاةِ التطويعِ والإرهابِ الفكريّ.

❖ ❖ ❖

كلمة رئيس تحرير الآداب في المؤتمر التضامنيّ

الأصدقاء والزملاء والرفاق،

باسم دار الآداب، أقولُ لكم: أهلاً بكم في دار الحريّة.

لقد حكمت المحكمة بأننا مارسْنا القدحَ والذمَّ في حقّ مستشار السلطان. ولكنّ الثقافةَ كانت قد حَكمتْ قبل المحكمة، وستحْكم بعدَ المحكمة، بأنّ التقاعسَ عن خوضِ معاركِ الحريّةِ والاستقلال هو الذمُّ بعينِهِ وهو القدحُ بعينه: ذمُّ بدور المثقفِ الملتزم، وقدحُ بدور الثقافةِ الوطنيّة. لذا، فقد قرّرنا، باسمِكم، أن نستأنفَ الحُكْمَ، لأننا قرّرنا، باسمِكُم أيضًا، أن نواصلَ المعركة: معركةَ المقاومةِ العربيّةِ ضدّ الاحتلالِ الأميركيّ للعراق، ومعركةَ اليسار الثوريّ ضدّ اليسار الزائف الذي تحوّل إلى برغيٍّ صغيرٍ في آلةِ الاحتلال، ومعركةَ الثقافةِ المستقلّةِ في وجه ثقافةِ المالِ والنفطِ والسلطة وتكميم الأفواه.

أيها المثقفون، قانونُ المطبوعاتِ عارٌ عليكم. وقانونُ المطبوعات عارٌ على هذا البلد الذي يتباهى بأنه بلدُ الحريّةِ والإشعاعِ الثقافيّ. ولكنّ هذا التباهي تبجّحٌ فارغٌ أحيانًا، ويا للأسف. والدليل؟ الدليلُ هو أنّ السيد فخري كريم لم يرفعْ أيّةَ دعوى علَى أيٍّ من منتقديه في أوروبا، وهم بالعشرات، لأنهم يعيشون في النروج والسويد وفرنسا والنمسا وبريطانيا على سبيل المثال لا الحصر.

السيّد مستشارُ الرئيس تحت الاحتلال، والرئيس بفضلِ الاحتلال، اختار بلدكم، أيها اللبنانيون، لأنّ بلدكم، خلافًا لما نسمع، ليس نصيرًا للحريّة! قانونُ المطبوعات، أيها الزملاء، سيفٌ مسلّطٌ على أقلامكم. فهو لا يكتفي بمنعكم من قولِ ما تؤْمنون به، وإنِ استندتم إلى مصادرَ ومراجعَ لا تُحصى، بل يمنعُكم من إثباتِ ذلك أيضًا.

لقد قرّرت الآداب منذ تأسيسها ألاّ تكونَ ضحيّةَ قانون المطبوعات، بل أن تكونَ جنديّاً في معركة تعديله. ولهذا فنحن لم نخسرْ ولن نخسرَ، لأنّنا نعملُ بهدْيٍ من كلماتِ الشهيد مهدي عامل التي ستبقى ترنُّ في آذانِنا إلى الأبد: «لسنا مهزومين ما دمنا نقاوم»!

أيُّها الزملاء والرفاق،

كان بإمكان مستشار السلطان أن يردَّ علينا، وكنّا سننشر ردَّه بالتأكيد. بل إنه حين رفع الدعوى عمدْنا فورًا إلى نشرها، كما هي، بكلّ أخطائها الطباعيّة وغير الطباعيّة، ونشرْنا أيضًا ثمانيَ عشرة مقالةً تنضح بمديحه، وتشتمنا بنعوتٍ من قبيل: أنني عميل لصدّام، وأنني جزءٌ من عصابات التفخيخ الإجراميّة، وأنني أمارسُ العُواءَ الكريه! ولم أرفعْ دعوى مضادّةً ضدّ أيٍّ من هؤلاء الشتّامين، لأنّ الكلامَ في رأينا لا يواجَهُ إلا بالكلام، ولو كان جارحًا. تلك كانت ممارستَنا وأخلاقيّاتنا منذ سبعةٍ وخمسينَ عامًا: لم نرفعْ دعوى ضدّ أحد؛ ولم نستعْدِ القضاءَ ضدّ أحد. سلاحُنا الكلمةُ وحدها، حتى حين يتسلّحُ الآخرونَ بالمالِ والمنصبِ والسلطةِ والميليشيات.

أيُّها الناس، الآداب لا تعتبركُم اليومَ متضامنين معها، بل تعتبر نفسَها متضامنةً معكم: في معاركِكم النبيلةِ من أجل الحريّة، والعراق، وفلسطين، واليسارِ الحقيقيّ. ولقد شرّفتموها بأنْ قبلتموها جنديّاً في صفوفكم.

بيروت، ٢٠١٠/٣/١١